

الأخلاق في شعر صدر الإسلام والعوامل المؤثرة فيه

الهادي محمد آدم*

In this article, the researcher has found that, the poetry of prophecy era and caliphates abounds with ethics upon which the good society is constituted poetry un vials about the beauty of its style, the neatness of its moulding and the splendor of its meanings to achieve the aims and values of the good Islamic message which has come to complete the ethics. When Islam came into being, it changed a lot of things in the ignorant society where it changed tribalism to the nation association. It stated security, peace, justice, prosperity, etc. Islam has taken a clear position towards poetry where it has forbidden the ugly poetry which defames the peoples honor, causes disputes and stands against Islam. Islam encourages the poetry which seeks about ethics, supports, supports Islam whether with word or sword - so that the society can be constituted on Islam association which calls for establishing Allah's teachings which aim at improving the individual and the groups in doing the good actions in a goodstyle, neat moulding and eloquence that incapacitated the Arabs. That had a greatimpaction poets, As a result, they loved Quran and started to study it. So, their poetry had taken a religious flavor which call for ethics and encourages it. Their poetry cited a lotfrom the Holy Quran and sunnah in breeding up the individual to have good behavior aiming at creating a good society that rejects the deeds and actions of the ignorant era which was calling for society's dismantling and its derastation. To sum up, this is anucleus which cooperates with others for the sake of the over all establishment to consolidate the values and morality.

مدخل:

الأخلاق من الموضوعات التي احتلت مكاناً كبيراً في اهتمام المفكرين والباحثين واستحوذت على تفكيرهم منذ القدم. وجاءت جميع التكاليف السماوية تنادي بالقيم الفاضلة والسلوكيات الحميدة لبناء المجتمع، بهدف توكية النفس وتحريرها من غرائزها وأهوائها، وحثها على الخلاص من مساوئ الأنانية والحقد، والعمل على زيادة التفاهم والتعاون والابتعاد عن سوء الأخلاق؛ لأنه يتسبب في التخلف الروحي والمادي بين المجتمعات. والرسالة الإسلامية دعت لغرس القيم السلوكية بين الناس في معاملاتهم بعضهم مع بعض، والرسول الكريم ﷺ جاء ليتمم مكارم الأخلاق. ولما كان الشعر ديوان الأمم وخزانة حكمتها ومستنبت آدابها ومستودع علومها على مر التاريخ فقد جاء شعر صدر الإسلام لترسيخ قيم الرسالة الإسلامية من أخلاق فاضلة بين الناس والدفاع عن الدعوة.

* باحث في كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية العالمية - إسلام آباد

حياة العرب قبل الإسلام :

كانت القبائل العربية قبل الإسلام تعيش في شبه الجزيرة العربية, وهي أرض صحراوية وذات طبيعة جبلية, مما جعل حياتهم في تلك الفترة حياة عربية خالصة لم تختلط بهم المجتمعات الأخرى نتيجة للبيئة القاسية التي يعيشون فيها. وكان ذلك له دور كبير في حماية اللغة العربية من الاختلاط باللغات الأخرى, مما جعلها سليمة من اللحن والتداخل, وأيضاً حافظوا على النسب العربي من التمازج والاختلاط بالشعوب الأخرى. (وكانت القبيلة هي التي تشكل المجتمع في تلك الفترة, والعصبية القبلية هي التي تحمي القبيلة من اعتداء الآخرين, ولا يمكن أن يعيش في البادية شخص أو أشخاص دون أن يكونوا أفراداً في قبيلة يحمونها وتحميهم)¹.

لذلك كانت الحروب بين القبائل تدور لفترات طويلة نسبة لأن لغة السلاح هي اللغة السائدة في تلك الفترة ويعد الأخذ بالثأر من اقرب وجوه العدالة عندهم وكانوا لا يقبلون الدية في قتيلا , ويعيرون من قبلها. ولعل ذلك واضح في قول المهلهل في مقتل أخيه كليب تدرك مدى الإصرار على الأخذ بالثأر قال:

ولستُ بخالِعِ درعي وسيفي إلى أن يخلعَ الليلَ النهارُ
والإِنْ تُبِيدَ سَرَاهُ بَكْرٍ فلا يَبْقَى لها أبداً أثارُ²

قال الشاعر: بأنه لن يضع سيفه أبداً ويترك الحرب إلا أن يأخذ ثأر أخيه ويقضي على أسياد بكر ما دام على قيد الحياة أو ينتهي من قبيلة بكر التي قتلت أخاه, هذا إصرار واضح على الأخذ بالثأر. وكان من أكبر اهتماماتهم العناية بالخيال لأنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحياتهم حيث تعد عندهم هي مصدر العزة والمنعة ومكسبهم في الغزوات والحروب والصيد . ويكون الصيد مكسب الفقراء والضعفاء.

كما نجد الشعر عند العرب من أجمل الفنون التي يحتفون بها ويمجدونها. وله أسواق خاصة به مثل سوق عكاظ, والمجنة, وذو المجاز وغيرها. ويعد الشعر أعلى منزله عند العرب, وبه يحكم على القبيلة, وهو الذي يرفع من شأنها ويمجدها ويصنع تاريخها ويحمي عرضه.

ويصور لنا حياة العرب وعاداتهم وأخلاقهم بصورة واضحة. قال عنه محمد عثمان علي: "كان الشعراء إزاء هذه المكانة يدافعون عن القبيلة, ويعددون مآثرها ويرثون صرعى حروبها وقد يقومون بنصحها وإرشادها حرصاً على مكانتها وعزها بين القبائل الأخرى"³.

إذن يعد الشعر هو ديوان العرب في تلك الفترة وسجل تاريخهم وحياتهم، حيث يدافع عن القبيلة ويسجل بطولاتها وأمجادها ويهدي سادتها إلى الطريق الصحيح في الحرب والسلام ويرفع مكانتها بين القبائل. حيث يعد فن من الفنون الرائعة التي ظلت تصور لنا حياتهم في تلك الفترة.

بينما كانت حياة العرب الدينية في تلك الفترة كان الغالب عليها عبادة الأصنام والأوثان مثل اللات والعزة ومناة وغيرها . وكانوا يمسقون بهذه الأصنام قال أوس بن حجر :
وباللّٰه إنّ الله منهنّ أكبر⁴
اقسم باللات والعزة ومن دانّ دينها
كانت سائدة في تلك الفترة. وعلى الرغم من وجود اليهودية والمسيحية في بقية أجزاء الجزيرة العربية لكن كانت هنالك دلالات وإشارات دينية تدل على التوحيد، وبعض المعاني الدينية الصحيحة.

ولما كان الشعر بهذه المنزلة عند العرب في الجاهلية؛ مؤثراً في الناحية الأخلاقية، فهل احتفظ بهذه المنزلة في فترة صدر الإسلام؟ زما هي العوامل المؤثرة في ذلك؟
حدود البحث: فترة صدر الإسلام وتشمل فترة الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم.

وأناقش - إن شاء الله - هذا البحث في مبحثين وخاتمة:

المبحث الأول: التربية الأخلاقية في شعر صدر الإسلام.

المبحث الثاني: العوامل المؤثرة على شعر الأخلاق في صدر الإسلام

المبحث الأول

التربية الأخلاقية في شعر صدر الإسلام.

المطلب الأول: تعريف الأخلاق والتربية الأخلاقية

أولاً: تعريف الأخلاق:

الأخلاق لغةً: الأخلاق مفردتها خُلِقَ بضم الخاء وهو "السجية والطبع والمروءة والدين"⁵.

"والخُلُقُ بسكون اللام وضمها هو السجّية، وفلان يتخلق بغير خلقة أي يتكلفه"⁶.

والخليقة الطبيعة والجمع خلائق. قال لبيد بن ربيعة:

فَأَقْنَعُ بِمَا قَسَمَ الْمَلِيكُ فَإِنَّمَا قَسَمَ الْخَلَائِقَ بَيْنَنَا عَلَامُهَا⁷

وجاء الخلق بضم اللام وسكونها هو: "الدينُ والطبعُ والسَّجِيَّةُ"⁸.
 من هذه الآراء يتضح لنا بأن الأخلاق هي السجايا والطبائع التي فطر عليها الإنسان.
 والخلق في اللغة يطلق على السجية والطبع والعادة والمروءة والدين.
 اصطلاحاً: الخلق هو: "ملكة تصدر بها الأفعال عن النفس بسهولة ويسر، من غير تقدم
 فكر ورويّة وتكلف"⁹.

من هذا التعريف يتضح بان الخلق اصطلاحاً هو ما يصدر عن النفس من أفعال بسهولة
 ومن غير تكلف ويخرج منها الراسخ من الصفات مثل غضب الحليم، وأيضاً يخرج منها ما
 يأتي بتكلف مثل البخيل إذا حاول الكرم في بذل المال.

إذن الخلق هو صفة للجانب النفسي للإنسان، وهذه الصفة راسخة في النفس ويكون
 صدور الأفعال منها تلقائياً من غير تكلف، فهو طبيعي ومنه أيضاً ما هو مكتسب بالمران
 وما هو بالفطرة والسجية .

وقال المحاضر: "إن الخلق هو حال النفس بما يفعل الإنسان أفعاله بلا رويّة ولا اختيار.
 والخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعاً، وفي بعضهم لا يكون إلا بالرياضة
 والاجتهاد، كالسخاء يوجد في كثير من الناس من غير ولا تعمل. وكالشجاعة والحلم
 والعفة والعدل وغير ذلك من الأخلاق"¹⁰.

وعلماء الأخلاق عرفوا الخلق: "بأنه العادة التي تغلب عن نفس وتصدر عنها الأفعال، وقد
 يكون التغلب إلى الفضيلة أو الرذيلة. فالكرم خلق، والبخل خلق، وكلاهما خلق يغلب
 على النفس. فإذا كان الفعل الذي يصدر عن النفس مقبولاً عند الفرد والمجتمع يكون
 خلقاً حسناً وإذا كان الفعل الذي يصدر عن النفس مرفوضاً عند الفرد والمجتمع يكون
 الخلق سيئاً"¹¹

ويرى بعض العلماء بأن الأخلاق هي: "وجود قوة إرادية قادرة على توجيه سلوك الإنسان
 نحو القيم الأخلاقية"¹².

مما سبق من آراء بعض العلماء يتضح بأن الأخلاق هي العادة التي تغلب على النفس
 وتوجه السلوك الإنساني إلى الأفعال المحمودة أو الرذيلة التي تصدر منها. وقد تكون هذه
 راسخة في النفس أو مكتسبة بالمران والرياضة وتصبح بعد ذلك راسخة في النفس .

ثانياً: التربية الأخلاقية:

التربية الأخلاقية مهمتها تنشئة الأجيال على السلوكيات الخيرة والآداب الاجتماعية النبيلة وبناء قوة الإرادة وبناء الروح الخيرة القوية الدافعة إلى الخير، ثم تكوين قناعة عقلية علمية بتلك القيم عن علم وبصيرة والتضحية من اجل ذلك. والطريق إلى الأخلاق الفاضلة هو التخلص إلى حمل النفس البشرية عن الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب. والنفس البشرية تميل إلى الخير أو الشر بمقتضى الظروف فيظهر ميل الإنسان إلى الخير حيث يوجد موجب الخير الدافع له لعمل الخير. ويظهر ميله إلى الشر حيث يوجد موجب الشر الدافع له. بل قد تقوى الموجبات حتى ترد الرشيد غويًا أو ترد الغوي رشيداً.

فمن أراد مثلاً أن يخلق لنفسه خلق الجود فعليه أن يتكلف فعل الجود وهو بذل المال حتى يصير ذلك طبعاً له. وكذلك من وسائل تربية الخلق الفاضلة صحبة الأخيار وهذه لها أثرها البالغ في حياة الإنسان وتلعب دوراً مهماً في تربية الخلق لأن الإنسان مولع بالمحاكاة والتقليد - إن القرين بالمقارن ينسب - فنجد صحبة الأخيار واضحة في ذلك، فمعاشرته الكرماء تلقى في نفوس البخلاء الكرم، وصحبة الأبطال تلقى في نفوس الجبناء الشجاعة... وهكذا¹³.

لذلك تكمن أهمية التربية الأخلاقية في بناء الأفراد والمجتمعات والأمم والحضارات الإنسانية بروح الخير ليتحقق التماسك والتجانس الاجتماعي لتحقيق النهضة الاجتماعية القوية والقضاء على مشكلة ازدياد الجرائم والانحرافات بجميع أشكالها وألوانها، وبناء جيل ملتزم بالخير وتسوده روح العدل والمحبة والإخاء. لأن جميع الحضارات والديانات السماوية قامت على ترسيخ القيم الأخلاقية ونشر الفضيلة بين أفراد المجتمع. "فما من حضارة أو ديانة سماوية ترى العدل قبحاً والظلم حسناً والصدق رذيلة والكذب فضيلة وإنما تختلف بعد ذلك في غير المبادئ الأساسية"¹⁴.

جاءت جميع الحضارات والديانات السماوية تحث على الأخلاق الفاضلة ونشرها بين المجتمعات الإنسانية حتى تصبح مجتمعات متماسكة فيما بينها، وتقوى بين أفرادها القيم والأخلاق الفاضلة.

المطلب الثاني: موقف الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين رضوان الله عنهم من الشعر

كان الشعر في الجاهلية سمة العرب التي عرفوا بها. وهو سجل حياتهم وتعاملاتهم. وكانت الأغراض التي يتناولها هي الغزل في المحبوبة وذكر الديار، ومدح أجداد القبيلة وبطولاتها، ووصف الطبيعة البدوية التي يعيشون فيها، وهجاء الأعداء والتعريض بهم، وغير ذلك من الأغراض التي كانت سائدة. فكان الشعر له مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة في نفوس العرب وهو من أجمل الفنون الشعرية و أروعها.

وعندما جاء الإسلام غير حياة العرب في جميع ضروبها حيث جعل العمل للدنيا والأخيرة معاً، وجاء بإبطال كثير من أمور الجاهلية أولها العصبية القبلية التي كانت تسيطر على حياتهم، ووضع قيوداً بأن لا يجوز تجاوزها. وجاء القرآن بلاغة وفصاحة وإعجازة الذي تضاعل إمامه شعراء وفصحاء العرب ومنهم من انقطع عن قول الشعر لأنه لا يرقى إلى مكانة القرآن. مثل لبيد فلم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً قال:

الْحَمْدُ لِلَّهِ إِذْ لَمْ يَأْتِنِي أَجْلِي حَتَّىٰ اِكْتَسَيْتُ مِنَ الْإِسْلَامِ سِرِّيًّا¹⁵

بحمد الله تبارك وتعالى بان أمد في عمره إلى أن أدرك الإسلام وليس منه لباس التقوى والإيمان الذي يحميه من الجاهلية وشرها. فاتخذ الإسلام من الشعر مواقف مختلفة على حسب طبيعة الشعر ومراحل الدعوة حيث وردت في القرآن الكريم سورة باسم (الشعراء)، كما وردت بعض الآيات تعالج قضية الشعر والشعراء. ونفى صفة الشعرية عن الرسول ﷺ وما وصفه به المشركون قال تعالى: "بَلْ قَالُوا أَضْعَافٌ أُحْلَامٌ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ"¹⁶. وصف المشركون القرآن بأنه أحلام رآها الرسول في نومه أو افتراء منه أو قول شعر كما قال الشعراء الأولون. وقال تعالى: "وَيَقُولُونَ آئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ"¹⁷. ثم يقولون بأنهم ليس منصرفون عن آلهتهم التي وجدوا عليها آباءهم إلى شاعر مجنون حيث يصفون الرسول الكريم ﷺ بأنه شاعر. وقال تعالى: "أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرْتِصُ بِهِ رَبِّبَ الْمُؤْمِنِينَ"¹⁸. ويقولون هذا شاعر نصيبه بالعذاب وصروف الدهر المهلكة. ولكن الله تبارك وتعالى نفى صفة الشاعر عن النبي ﷺ في قوله تعالى: "وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا نُنُومُونَ"¹⁹. كما جاء في القرآن لفظ الشعر في قوله تعالى: "وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ"²⁰ ينفي الله صفة الشعر عن القرآن الكريم والرسول ﷺ ليس بشاعر كما يزعمون المشركين. وعن الشعراء قال تعالى: "وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ" * أَمْ تَرَأَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ²¹. يقصد بهم شعراء

المشركين الذين تناولوا الرسول الكريم ﷺ بالهجاء ومسوه بالأذى ويخوض معهم في قول الشعر الخائضون، حيث استثناء غيرهم من شعراء المؤمنين الذين نصرُوا الدعوة الإسلامية ودافعوا عنها. في قوله تعالى: "إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ" ²². نجد الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً ثم ردوا على المشركين الهجاء الباطل بالهجاء الحق، هم الذين أقرّ الدين الإسلامي شعرهم. والذين ظلموا لهم العذاب الأليم الذي ينالونه يوم القيامة. وبناءً على هذا يمكن القول بان موقف القرآن الكريم من الشعر ينبع من موقف الشعراء أنفسهم الذين ينقسمون إلى فئة ضالة بعيدة عن الحق وقفوا بشعرهم ضد الإسلام والرسول الكريم ﷺ وصحابته ووصفوا الرسول الكريم ﷺ بأنه شاعر. فالقرآن الكريم ذم هذه الفئة ونهى عن شعرهم. وهنالك فئة أخرى صالحة مؤمنة واكبوا الإسلام منذ أحداثه الأولى فتأثروا بقضاياها وقيمتها، ودافعوا عنه، وقاموا بنشر تعاليمه ورسالته. فنجد القرآن قام باستثناء هؤلاء الشعراء عن شعراء المشركين وشجعهم بشكل أو بآخر على نظم الشعر في أداء الرسالة. أما الرسول عليه صلوات الله وسلامه عليه فله مواقف تتسجم مع مواقف القرآن الكريم، فقد ذم الشعر في أول الأمر ونهى عن روايته فقال: "لئن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خير من أن يمتلئ شعراً" ²³. نعى الرسول ﷺ في هذا الحديث عن قول الشعر ويفضل أن يمتلئ جوف الإنسان قيحاً خيراً له من قول الشعر، نلاحظ أن النبي المصطفى ﷺ ينهى عن الشعر وروايته في بادي الأمر ولكنه مع ذلك شجع شعراء المسلمين واستنهض همهم على قول الشعر فقال ﷺ: "طلا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين" ²⁴. والرسول ﷺ يرى بان الشعر ملازم لحياة العرب ولا يمكن تركه لأنه ديوانها وتاريخها وهو ملكة فنية تنقسم إلى نوعين طيب وخبث حيث قال: "إنما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه" ²⁵. حيث كان يوجه الشعراء إلى أن يتمثلوا في شعرهم المفاهيم الإسلامية والقيم الأخلاقية السامية في الدفاع عن الدعوة والرد على المشركين. قال ﷺ لحسان بن ثابت: "اهجهم - يعني قريش - فوالله هجاؤك عليهم اشد من وقع السهام، في غلس الظلام، اهجهم ومعك جبريل روح القدس، وألق أبابكر يعلمك تلك الهنات" ²⁶.

والرسول ﷺ يحث حسان بن ثابت على قول الشعر في هجاء المشركين ويبيشره بان جبريل عليه السلام يقف معه في معركته هذه ويجب عليه أن يلتقي بسيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ليعلمه انساب العرب وتواريخ قبائلهم، حتى تساعده في معلوماته وعباراته التي تأتي في شعره. كما نجد أن الرسول ﷺ كان يعجب بالشعر ويصفه عندما يسمع بعض روائعه بقوله: "أن من البيان لسحراً"، وان من الشعر لحكمة" ²⁷. حيث يوضح بان من البيان ما هو يسحر النفس ويسرها ومن الشعر الحكم والمواعظ التي يجب أن يتعلمها الإنسان ويستفيد منها قال النابغة الجعدي:

بَلَعْنَا السَّمَاءَ مَجْدَانًا وَجُدُودَنَا وَإِنَّا لَنَبْتَى فَوْقَ ذَلِكَ مَطْهَرًا ²⁸

فعضب الرسول ﷺ عندما سمع ذلك وقال له: "أين المظهر يا أبا ليلى؟" فقال النابغة: "الجنة بك يا رسول الله" فقال له الرسول ﷺ: "أجل إنشاء الله" ²⁹ وكذلك كان يشجع الناس لاستماع الشعر الذي يوجد فيه نفس إسلامي وروح دينية. فقد انشده كعب بن زهير قصيدته المشهورة "بانت سعاد" في المسجد فلما بلغ قوله:

إِنَّ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مَهْنَدٌ مِنْ سَيْوْفِ اللَّهِ مَسْلُورٌ فِي فِتْنَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَكُشْفٌ عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا مَيْلٌ مَعَادِيلُ

شُمُّ الْعَرَانِينَ أَبْطَالَ لِبُؤْسِهِمْ مِنْ نَسَجِ دَاوُودَ فِي الْهَيْجَا سَرَائِلُ بِيضٌ سَوَابِغٌ قَدْ شَكَّتْ لَهَا حَلْقٌ كَأَنَّهُ حَلَقُ الْقَمْعَاءِ بِجُدُولُ لَا يَفْرَحُونَ إِذَا نَالَتْ رِمَاحُهُمْ قَوْمًا وَلَيْسُوا بِمَجَارِئِعًا إِذَا نِيلُوا

يَمَشُونَ مَشْيَ الْجَمَالِ الرَّهْرِ يَعْصِمُهُمْ ضَرَبٌ إِذَا عَزَدَ السُّودُ التَّنَائِيلُ لَا يَقَعُ الطَّعْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ وَمَالَهُمْ عَن حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ ³⁰

عندما سمع الرسول ﷺ هذه القصيدة أعجب بها وأهداه برده؛ لما في ذلك الشعر من مدح للرسول ﷺ والمهاجرين بقيم إسلامية وأخلاق فاضلة فآثر في نفس الرسول ﷺ على الرغم من التعريض للأنصار في البيت قبل الأخير.

ولم يكن الرسول ﷺ يقيم وزن بيت يرويه أو يتمثل به، كما فعل بيت طرفة بن العبد فإنه رواه خلاف أصله حيث رواه هكذا:

سَيِّدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ مَنْ لَمْ تُزَوِّدْ بِالْأَخْبَارِ

واصلة: وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدْ³¹

وأكثر ما كان يتمثل بأنصاف الأبيات حتى لا يتحقق كونها شعراً كما فعل بيت لبيد حين قال: "اصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلل الله باطل"³² فأتى بالشطر صحيحاً ولكنه سكت عن عجز البيت. والرسول ﷺ كان يرتجز قول عبد الله بن رواحه:

لَا هُمْ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فَأَنْزَلْنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا وَتَبَّتْ الْأَقْدَامُ إِنْ لَاقَيْنَا

إِنَّ الْأُلَىٰ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذْ أَرَادُوا فِتْنَةَ أَيْبِنَا³³

لذلك لا يمكن القول بأن النبي ﷺ قد نهى عن قول الشعر عموماً، ولا يمكن القول أيضاً أنه شجع الشعر دون توجيه أو تهذيبه. فنجد أنه سمع قول الشعر في المسجد وكافأ عليه قائلة عند كعب بن زهير وعفا عنه. كما نجد أعجب بالشعر ووصفه بأنه جيد المعنى أي اصدق كلمة قالها شاعر عند لبيد وقال أنه كما كان يرتجز قول عبد الله بن رواحه.

كل ذلك يدل على أن الرسول ﷺ لم ينه عن الشعر تماماً وإنما كان يشجع الشعر الذي يدل على الأخلاق الفاضلة ويدافع عن الدعوة الإسلامية وينصرها بالكلمة كما ينصرها بالسيف. ونهى عن الشعر الذي يخرج عن هذه المبادئ السامية ويكون ضد المسلمين والإسلام. وسلك من بعده الخلفاء الراشدين هذا المسلك في موقفهم من الشعر حيث حثوا على الشعر الذي يخدم الإسلام ويوافق مبادئ وأخلاقيات الرسالة الإسلامية. و سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه لم ينهى عن قول الشعر بل أقر ذلك وقبله في بعض المواضع عندما كتب إليه بعض الشعراء في زمن الردة يناصرونه ويدافعون عنه. قال أبو عبرة القرشي:

شُكْرًا لِمَنْ هُوَ بِالنَّاءِ حَقِيقُ ذَهَبِ اللَّجَاحِ وَبُؤْيَعِ الصَّدِيقِ

مَنْ بَعْدَ مَا دَحَضَتْ بِسَعْدٍ نَعْلُهُ وَرَجَا رَجَاءَ دُونَهُ الْعَيْوُقِ

كُنَّا نَقُولُ لَهَا عَلِيٌّ وَالرُّضَىٰ عَمْرُ وَأَوْلَاهُمْ بِتِلْكَ عَتِيقِ

فَدَعَتْ قَرِيشٌ بِاسْمِهِ فَأَجَابَهَا إِنَّ الْمَنُوهُ بِاسْمِهِ الْمُوثِقُ⁽³⁴⁾

يؤيد الشاعر خلافة سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه ويشكر الله بأن دعا أمة الإسلام إلى الحق وذهاب الباطل. وينسب إلى سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

أمن طيف سلمى بالبطاح الدماث أرقت، أوامر في العشيّرة حادث
 ترى من لؤي فرقة لا يصدّها عن الكفر تذكير ولا بعث باعث
 رسولٌ أتاهم صادق فتكذبوا عليه وقالوا: لست فينا بماكث³⁵

وقد اشتهر سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بأنه كان كثيراً ما يسأل آل وفود القبائل عن شعرائهم. وكان من أكثر الناس معرفةً بالشعر ونقده. حيث كتب إلي أبي موسى الأشعري واليه على البصرة قائلاً: "مُر من قبيلك بتعليم الشعر فانه يدل على معالي الأخلاق وصواب الرأي ومعرفة الأنساب"³⁶.

وقد مضى الخلفاء الراشدين مهتدين بهدى الإسلام الحنيف ينهون عن الهجاء ويعاقبون عليه. كما في قصة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، مع الخطيئة حيث حبسه حين أقذع في هجائه للزريقان فاستعطف الخطيئة سيدنا عمر بأبيات قال فيها:

مادًا تقول لأفراخٍ بذي مَرخٍ زُغِبِ الخواصِلِ لا ماءً ولا شَجْرُ
 غَيَّبَتْ كاسِبَهُمْ في قَعْرِ مُظْلِمَةٍ فاغْفِرْ عَلَيْنِكَ سلامُ الله يا عُمَرُ³⁷

عندما سمع سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، هذه الأبيات عطف عليه وأمر بإطلاق صراحه بعد أن عاهدته على ألا يعود إلى مثل هذا الهجاء.

كما نسب إلى سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه بعض الأبيات قال:

غنى النفس يغني النفس حتى يكفها وان عَصَّها حتى يضُرَّ بها الفقرُ
 وما عَسَرَه - فاصبر لها إن لقيتها - بكائنة إلا سيتبعها يُسْرُ³⁸

وقال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يصف الشعر بقوله: "الشعر ميزان القول"³⁹.

وموقف الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين من الشعر يتسق مع بعضه البعض، فلم ينه عن قول الشعر عامة، بل نهى عن قول شعر معين. مثل شعر الهجاء المقذع، ومهاجمة الإسلام والمسلمين، وفي الجانب الآخر الرسول صلى الله عليه وسلم كان يستحسن بعض الشعر الذي يحمل القيم والأخلاق الإسلامية ويرتجز بعضه ويثيب عليه ويشجع شعراء المسلمين الذين يحمل شعرهم عبء الاتصال المباشر بالقيم الإسلامية الجديدة، وما تحمله من مظاهر التغيير في السلوك والأخلاق والقيم الاجتماعية والروحية بحيث وقعت على المشركين أشد من وقع السهام في غلس الظلام.

وسار الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم، من بعده على نفس النهج في رؤيتهم للشعر حيث قبلوا ما هو متسق مع الرسالة الإسلامية ومبادئها السامية وأخلاقها الفاضلة وشجعوا الشعراء في هذا الطريق من أجل نشر القيم الروحية والدفاع عن الدعوة ورد على المشركين والكفار. ورفضوا ما هو قبيح من الألفاظ والمعاني وينادى بالفحشاء ويهاجم الإسلام.

المبحث الثاني

العوامل المؤثرة في شعر صدر الإسلام

المطلب الأول: التأثير الاجتماعي في شعر الأخلاق:

المتنع للحياة الإنسانية بين المجتمعات يجد أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية لا يستطيع أفرادها أن يعيشوا متعاونين سعداء ما لم تربط بينهم روابط متينة من الأخلاق الفاضلة. وحتى المجتمعات التي تقوم على أساس تبادل المنافع المادية فقط من غير أن يكون وراء ذلك هدف أسمى وأنبل فإنه لا بد من توفر خلقي الثقة والأمانة على أقل تقدير في هذا المجتمع. فمكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية لا يستغني عنها مجتمع من المجتمعات. ومتي ما فقدت الأخلاق تفكك أفراد المجتمع وتصارعوا فيما بينهم وإنهار المجتمع كله.

"ولقد دلت التجارب الإنسانية، والأحداث التاريخية أن تطور القوى المعنوية للشعوب ملازم لتطورها وارتقائها في سلم الأخلاق الفاضلة. ذلك لان الأخلاق الفاضلة في أفراد المجتمع تمثل الأسس الثابتة التي تقوم عليها الروابط الاجتماعية، ومتي ما انعدمت أو قلت بين الأفراد لم تجد الروابط الاجتماعية مكاناً تقوم عليه"⁽⁴⁰⁾.

عندما انتشر الإسلام في شبه الجزيرة العربية غير كثيراً من المبادئ والقيم والمفاهيم التي كانت سائدة في مجتمع ما قبل الإسلام. حتى وجد الشاعر المخضرم الذي عاش في الجاهلية والإسلام أمام أصعب معادلة أدبية يعيشها شاعر في الوجود. ذلك لأن التغيير الكبير الذي جاء به الإسلام في حياة الأمة العربية آنذاك كان له تأثير واضح في المواقف الأدبية التي عاشها الشعراء المخضرمون. بل كان له تأثير أيضاً في مسار الشاعر من خلال هذه المواقف نفسها. تبعاً للتعبئة التي شكلت حياته الأدبية.

ووفقاً لمجتمعه القبلي الذي سخر له جهده الأدبي وطاقته الفنية. وهو مجتمع يقوم على مبادئ وقيم وتقاليد جاهلية، اعتمدت على العصبية القبلية ومصالح الفرد التي رسخت في

عقلية الشاعر ووجدانه، وانعكس عليها أدبه وفنه فإذا به يراها تذوب بين يديه وتتلاشي أمام ناظره. ليحل الإسلام محلها بأخلاق وقيم ومبادئ جديدة أرادها الله لخلقها وسجلها القرآن الكريم بكلمة تقوم على إصلاح المجتمع ومصالح الجماعة. وكان من التأثير الاجتماعي على شعر الأخلاق في فترة الجاهلية الفخر بالقبيلة التي شكلت حياتهم الأدبية في سلوكهم وتوجيههم الأخلاقي قال النابغة الجعدي عن موسى الأشعري يوضح لنا الجانب القبلي في أخلاقه القائمة على العصبية القبلية والحمية الجاهلية. قال:

رَأَيْتُ الْبَكْرَ بَكَرَ بَنِي ثُمُودٍ وَأَنْتَ أَرَاكَ بَكَرَ الْأَشْعَرِيْنَ
فَإِنْ يَكُنْ ابْنُ عَفَّانٍ أَمِينًا فَلَمْ يَبْعَثْ بِكَ الْبِرَّ الْأَمِينَا
فِيَا خَيْرَ النَّبِيِّ وَصَاحِبِيهِ إِلَّا يَاغُوثُنَا لَوْ تَسْمَعُونَا
إِلَّا صَلَّى إِلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا صَلَّى عَلَى الْأَمْرَاءِ فِينَا⁽⁴¹⁾

فوجد تأثير النابغة الجعدي بالحياة الاجتماعية التي كانت في الجاهلية حيث يفتخر بقبيلته ويصف سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه بالأمين ويرفض ولاية أبي موسى الأشعري عليهم. ونجد كذلك حسان بن ثابت يفتخر بقومه ويعدد أسماء القتلى ويذكر خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل القلب ، فقال :

وخبر بالذي لا عيب فيه بصدق غير إخبار الكذوب
فلاقيناهم منا بجمع كأسد الغاب من مردٍ وشيب
أمام محمد قد آزره على الأعداء في وهج الحروب
يُنَادِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ لِمَا قَدَفْنَاهُمْ كَبَاكِبَ فِي الْقَلْبِ
أَلَمْ تَجِدُوا حَدِيثِي كَانَ حَقًّا وَامْرُؤُ اللَّهِ يَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ
فَمَا نَطَقُوا وَلَوْ نَطَقُوا لَقَالُوا صَدَقْتَ وَكُنْتَ ذَا رَأْيٍ مُصِيبٍ⁴²

فحسان بن ثابت في أبياته السابقة متأثر بالحياة الاجتماعية في الجاهلية بالفخر بالقبيلة. وقال إذا نطقوا لقالوا صدقت. أي أنك صادق وذا رأي سديد.

ومتأثرا بالقرآن الكريم ويستقي معانيه من قوله تعالى: "قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ"⁽⁴³⁾. وقوله تعالى: "لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ"⁽⁴⁴⁾. حيث يجزي الله الصادقين مكانة عالية في الجنة جزاء لما صدقوا في الدنيا ويعذب المنافقين

في نار جهنم. والإسلام أخذ يضعف من شأن العصبية القبيلة ويحل محلها فكرة الأمة قال الله تعالى: "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ" (45).

حيث يصف المولي عز وجل الأمة الإسلامية بأنها خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وأخذ الإسلام يرسى القواعد الاجتماعية لهذه الأمة بحيث تكون أمة مثالية يتعاون أفرادها على الخير ويسود بينهم البر والتعاطف وينبغي أن يعودوا إخوة، ويشعر كل واحد منهم بمشاعر أخيه، باذلاً له ولمصلحة هذه الأمة كل ما يستطيع. قال الحطيئة:

أَمْ أَمْ أَكُ نَائِباً قَدْ عَوَّمُونِي فِجَاءِ بِي الْمَوَاعِدِ وَالِدُعَاءِ
أَمْ أَمْ أَكُ مُسْلِماً فَيَكُونُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ الْمَوَدَّةُ وَالْإِخَاءُ (46)

حيث وضح الحطيئة بأنه كان بعيداً عن الجماعة وجاء به الأمل والرجاء ويكون بين المسلمين، فتكون بينه وبينهم المودة والإخاء. للتعاليم الإسلامية التي تنظم حياة الناس الاجتماعية في معاملتهم بينهم. ونظم الحياة داخل الأسرة وحفظ حقوق الجار في أخلاق عالية قال النابغة الجعدي:

وبيضاءٍ مثل الرِّيمِ لو شئتُ قد صَبَّتُ إِلَى وفيها للمحاضر ملعبُ
تَجَنَّبْتُهَا ، إِي أَمْرُؤُ فِي شَبِيبَتِي وَتَلْعَابَتِي عَنِ رِيْبَةِ الْجَارِ أَنْ كَبُّ (47)

فوجد النابغة رسم لنا أخلاقاً إسلاميةً في حياته الاجتماعية حيث يحفظ حقوق الجار ويرفض أن ينصاع في حب جارته وهي جميلة بيضاء تصبى لوجهه لكنه يرفض ذلك. وكذلك كان التأثير الاجتماعي على شعر الأخلاق في تلك الفترة حيث غير كثير من المفاهيم الأخلاقية التي كانت سائدة في المجتمع وأولاد جعفر بن فريع بن كعب الذين عرفوا بـ (بني أنف الناقة) حيث كانوا يتضاءلون خزيًا من هذا اللقب ويعيرون به حتى إذا مدحهم الحطيئة بقوله:

قَوْمٌ هُمْ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ وَمَنْ يُسَوِّي بَأَنْفِ النَّاقَةِ الدَّنْبَا "2"

فصار اسمهم شرفاً لهم، وصاروا يتطاولون ويزهون به على الناس بعد إن كان سبب استحياء وانكساف منه. والنابغة الجعدي يرسم لنا منهجاً خلقياً رفيعاً في معاملته لأصدقائه قائلاً:

وكان الخليل إذا رابني فعاقبته ثم لم يَعْتَبِ

هواي له ، وهوي قلبه سواي ، و ما ذاك بالأصوب
 أروم على العهد مادام لي فان خانَ خُنْتُ ولم أكذب⁴⁸
 فتأثر النابغة بالحياة الاجتماعية التي من حوله يلتزم فيها بالأخلاق الفاضلة بعيدا عن الغدر
 والخيانة وحرصه على أن تسود علاقته مع أصدقائه بالموددة والمحبة والصدق والمروءة، وهو
 يأسي اشد الآسي، ويتأسف غاية الأسف لسوء معاملتهم له على الرغم مما يخصهم به من
 حسن المعاملة وطيب المودة والعشرة. والوضوح له في معاملته معهم. وهذه الأخلاق التي
 تسود تلك المجتمعات يوصي الآباء بما الأبناء لالتزامها حتى ينمو المجتمع وتسوده روح
 المحبة فنجده سيدنا علي بن أبي طالب يوصي ابنه الحسن رضي الله عنهما قائلاً:
 تردّ رداءً الصبر عند النوائب تنل من جميل الصبر حُسن العواقب
 وكن صاحباً للحلم في كُلِّ مشهدٍ فما الحلمُ الأخيرِ نخدِنِ وصاحب
 وكن موجباً حق الصديق إذا أتى إليك ببرٍ صادقٍ منك واجب
 وكن حافظاً للوالدين وناصراً لجارك ذي التقوى وأهل التقارب⁴⁹
 والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يوصي ابنه بمكارم الأخلاق حتى يعيش في مجتمع أخلاقي.
 حيث يوصيه بالصبر عند النوائب حتى يفوز بما يريد ويكون حليماً حافظاً لعهد
 الأصدقاء، ويشكر المولي عز وجل على نعمته التي انعم بها عليه ويحفظ حق الوالدين
 وينصر جاره وبذلك ينال أعلى المراتب في المجتمع.
 نجد أن المجتمع كان متأثراً بالعادات والقيم الجاهلية وعندما جاء الإسلام اقرّ ما هو حميد
 منها ودفع الناس لها ولفعلها، ورفض الأخلاق الرذيلة ونهي عنها. وكان ذلك التحول في
 المجتمع له تأثير واضح على حياة الشعراء حيث تحول الشعر إلى مساندة الحياة الجديدة
 يدعو إلى أخلاقها التي أقرها القرآن الكريم في بناء مجتمع يقوم على الإخاء والمحبة ومصلحة
 الجماعة وحماية حقوقها. والتزام الأخلاق الكريمة في التعامل الاجتماعي بينهم حتى تصبح
 الحياة بينهم حياة ألفة ومحبة وتصبح خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن
 المنكر

المطلب الثاني: التأثير الديني في شعر الأخلاق

لقد اهتم العرب قبل الإسلام بالشعر اهتماماً كبيراً لأن الشاعر هو الذي يدافع عن القبيلة
 وأعراضها ويهدد من يفكر بالاعتداء عليها.

وعندما جاء الإسلام دعا إلى الأخلاق الفاضلة وتمهيد النفس البشرية حيث دعا للفضيلة وحض عليها، ودم الرذيلة ونهى عنها. وأزال الفروق بين الطبقات الاجتماعية وجعل المؤمنين أخوة لا فضل لأحدهم على الآخر إلا بالتقوى. وحول المجتمع من العصبية القبلية إلى رابطة الأمة بدلاً من رابطة القبيلة التي كانت تسود قبل الإسلام. فأثر ذلك التحول في حياة المجتمع في النواحي السياسية والاجتماعية والدينية وغيرها. وتبعاً لذلك تأثر الشعراء بهذه العوامل المحيطة بهم، ووجدوا في الأخلاق الإسلامية موضوعاً لهم متأثرين ببلاغة القرآن، وجزالة أسلوبه، وروعة ألفاظه. فجاء شعرهم يحث على الأخلاق الفاضلة، والدعوة إلى الخير والسعادة واحترام الإنسان. قال النابغة الجعدي:

بَلَعْنَا السَّمَاءَ مَجْدَانًا وَجُدُودَنَا وَإِنَّا لَنَبْعِي فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا⁵⁰

حيث يريد النابغة فوق ذلك النصر والعزة دخول الجنة؛ بشفاعة سيدنا محمد ﷺ. مما كان له العمق الديني والأثر الواضح في نفس الشاعر بعيداً عن العصبية. ثم قال:

وَلَا خَيْرَ فِي جِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكْدَّرَا

وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيمٌ إِذَا مَا أورد الأَمْرَ أَصْدَرَا⁵¹

قال النابغة لا بد للحلم أن يكون معه ثورة للغضب، والجهل أن يكون معه سعة للحلم والصفح حتى إذا ما أصدر الأمر كان صائباً. حيث دعا له الرسول ﷺ وقال: (لا يفضض الله فاك)⁵².

والشعراء في فترة الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين رضوان الله عليهم جاء شعرهم متأثراً بالحياة الدينية التي سيطرة على شبه الجزيرة العربية. قال لبيد ابن ربيعة:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ

وَكَأَنَّ أَنَاسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ دُوبِيهِيَّةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الْأَنَامِلُ⁵³

يعظ الشاعر من حوله بما أهلك الله من الأمم السابقة مخوفاً من الموت ويوم الحساب داعياً إلى التقوى والعمل الصالح موضحاً بان كل شيء سوف يزول والحياة دول بين الناس متأثراً بقوله تعالى: "كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ"⁵⁴. وقال كعب بن

زهير :

أَعْلَمُ أَيُّ مَنِّي مَا يَأْتِنِي قَدَرِي فَلَيْسَ يَحْسِبُهُ شُخٌّ وَلَا شَفَقُ

وَالْمَرْءُ وَالْمَالُ يَنْجِي تُمْ يُذْهِبُهُ مَرُّ الدُّهُورِ وَيُفْنِيهِ فَيَنْسَحِقُ

فَلَا تَخَافِي عَلَيْنَا الْفَقْرَ وَانْتَظِرِي فَضْلَ الَّذِي بِالْغَيْبِ مِنْ عِنْدِهِ نَثِقُ
إِنْ يُفَنِّ مَا عِنْدَنَا فَاللَّهُ يَزُرُّنَا وَمَنْ سِوَانَا .وَلَسْنَا نَحْنُ نَزَرْتَرِي⁵⁵ .

بين الشاعر إيمانه العميق بالمولى عز وجل، وهو يؤمن بالقضاء والقدر وكل شيء في هذه الدنيا سوف يزول بمرور السنين. وإيمانها العميق يجعله لا يخاف من الفقر لأن الله هو الذي يرزق عباده وليس للعباد مقدرة فوق قدرة الله على الرزق. قال الله تعالى: "فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ"⁵⁶. وقال الحطيئة:

مَنْ يَزْرِعِ الْخَيْرَ يَحْصُدْ مَا يُسْرِبُهُ وَزَارِعِ الشَّرِّ مَنْكُوسٌ عَلَى الرَّأْسِ⁵⁷

بين لنا بلذ الذي يفعل الخير لا يكسب إلا من فعله وذلك لأن الخير لا يضيع عند الله تعالى. قال عليه الصلاة والسلام: "مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ. كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا. وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ. وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ"⁵⁸.

يبين الرسول ﷺ بأن من سن سنة حسنة تكسبه الخير وتكون له سبب في النجاح والسعادة وله أجرها واجر من عمل بها من بعده. ومن يفعل سنة سيئة عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعد وتقوده إلي فعل الشر وتكسبه الخسارة والندم والهلاك. وتنهى التربية الدينية شعراء تلك الفترة عن الأخلاق الرذيلة، وتحثهم وتقربهم من الأخلاق الفاضلة. قال النابغة الجعدي:

مَنْعَ الْعَدْرِ فَلَمْ أَهْمَمْ بِهِ وَأَخُو الْعَدْرِ إِذَا هَمَّ فَعَلْ
خَشِيَةُ اللَّهِ وَأَنْتِ رَجُلٌ إِنَّمَا ذِكْرِي كَنَارٍ يَقْبَلُ⁵⁹

بين النابغة بأن الغدر نقض للعهود والعقود. وأن المولى عز وجل حرم ذلك. فهو متأثر بالتربية الدينية، وأنه يخاف من الغدر لأنه يخشى الله تبارك وتعالى، ومكانته العالية بين الناس كأنها نار في قمة جبل قبيل.

والغدر هو صفة المنافقين يقول ﷺ: "أربع من كن فيه، كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خلة منهن، كانت فيه خلة من نفاق. حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر"⁶⁰.

وكان هنالك أيضاً من التأثير الديني على شعر الأخلاق، الالتزام بما أنزل الله تعالى في كتابه الكريم. قال سويد بن أبي كاهل اليشكري:

بِئْسَ مَا يَجْمَعُ أَنْ يَغْتَابِنِي مَطْعَمٌ وَخَمٌّ وَدَاءٌ يُدْرَعُ
وَيُحْيِينِي إِذَا لَاقَيْتُهُ وَإِذَا يَخْلُو لَهُ لَحْمِي رَنَعٌ⁶¹

التزام الشاعر بالقواعد الإسلامية. ولم يهتم بغدر صاحبه به، فهو يحبه إذا قابله ويغتابه في غيابه. حيث نهي عن ذلك المولى عز وجل قائلاً: "وَلَا يَغْتَابَ بَعْضُكُم بَعْضًا، أُجِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ"⁶².
والتأثير الديني على شعر الأخلاق في فترة الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين رضوان الله عليهم كان نابغاً من توجيهات الرسالة الإسلامية وتعاليمها. ووضح بأن الظلم والبغي عاقبتهما وخيمة وينال صاحبهما الويل والدمار. لذلك أمرنا الإسلام بالعدل والبعد عن الظلم. قال كعب بن مالك:

فِي كُلِّ سَابِغَةٍ تَخْطُ فَضْوُهَا كَالْتَّهَى هَبَّتْ رِيحُهُ الْمَتْرَقِ
تَلْكُم مَعَ التَّقْوَى تَكُونُ لِيَا سَنَا يَوْمَ الْهِيَاجِ وَكَلَّ سَاعَةَ مُصَدِّقٍ⁶³

فكان التأثير الديني على الشاعر بأن لباسهم يوم الحروب يكون التقوى والإيمان بالله في الدفاع عن دعوة الله ونصرة دينه الكريم متأثراً بقوله تعالى: "يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُم لِيَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِيَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ"⁶⁴. أنزل الله تعالى لباساً لعباده يوارى سوءاتهم. ولكن جعل لهم لباس التقوى خيراً من لباسهم الذي يوارى سوءاتهم لأن التقوى تغفر لهم ذنوبهم وتعصمهم من المعاصي وتجنبهم من الهلاك والخسران يوم الحساب. نلاحظ عمق الإيمان بالله ورسوخ العقيدة الإسلامية في نفوس المؤمنين جعلتهم يزهون الدنيا ونعيمها، والعمل للآخرة والفوز بها. قال النابغة الجعدي مخاطباً زوجته:

يَا ابْنَةَ عَمِّي كِتَابُ اللَّهِ أَخْرَجَنِي كُرْهًا ، وَهَلْ أَمْنَعَنَّ اللَّهَ مَا فَعَلَا
فَإِنْ رَجَعْتُ فَرُبُّ النَّاسِ أَرْجَعَنِي وَإِنْ لَحِقْتُ بِرَبِّي فَأَبْتَعِي بَدَلَا
مَا كُنْتُ أَعْرَجُ أَوْ أَعْمَى فَيَعْدِرَنِي أَوْ ضَارِعًا مِنْ ضَنِي لَمْ يَسْتَطِيعَ حَوْلًا⁶⁵

النابغة متأثراً بالإسلام والتزام تعاليمه رافضاً توسلات زوجته، ملبياً دعوة الله في الخروج إلى الجهاد، وأن حياته مرهونة بإرادة الله، فإذا كتبت له الحياة فسوف يرجع إليها، وإن اختاره الله لجواره فتلك إرادة الله، وهو متأثر بقوله تعالى: "كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ"⁶⁶.
والتعاليم الإسلامية في شعر الأخلاق كان لها أثر في الحياة الأسرية قال عبده بن الطبيب يوصي أبنائه:

أَوْصِيَكُمْ بِتَقَى الْإِلَهِ فَإِنَّهُ يُعْطِي الرِّغَائِبَ مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُ
 وَبِرَّ وَالِدِكُمْ وَطَاعَةَ أَمْرِهِ إِنَّ الْأَبْرَّ مِنَ الْبَيْنِ الْأَطْوَعُ
 واعصوا الذي يزوجي النمام بينكم مُتَنَصِّحًا ذَاكَ السَّمَامِ الْمُقْنَعُ
 يُزْجِي عَقَارِيهَ لِيَبْعَثَ بَيْنَكُمْ حَرْبًا كَمَا بَعَثَ الْعُرُوقَ الْأَخْدَعُ⁶⁷
 أوصي أبناءه بتقوى الله وبر الوالدين وطاعة أمره، ناظرًا في وصيته هذه لقوله تعالى
 : "وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ
 كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ
 الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَانِي صَغِيرًا "68 . ويحذرهم من النمام الذي يزرع بينهم بذرة
 الفتنة ويشعل بينهم حرباً كل من فيها خاسر ويدعوهم إلى عدم سماع كلامه فهو لا أمان
 له ناظرًا لقوله تعالى: " وَلَا تُطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَذَعُّ أَدَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ
 وَكِيلًا "69 . حيث يأمر الله المسلمين بعدم طاعة الكافرين والمنافقين ويتوكل المسلم على الله
 وهو الذي يهديهم الصراط المستقيم قال معن ابن أوس:

وَذِي رَحِمٍ فَلَمْتُ أَطْفَارَ ضِفْتِهِ بِحِلْمِي عَنْهُ وَهُوَ لَيْسَ لَهُ حِلْمٌ
 فَإِنْ أَعْفُ عَنْهُ أَغْضِ عَيْنًا عَلَى قَدَىٰ وَلَيْسَ لَهُ بِالصَّفْحِ عَنْ ذَنْبِهِ عِلْمٌ
 صَبْرْتُ عَلَىٰ مَا كَانَ بَيْنِي وَيَعِينُهُ وَمَا تَسْتَوِي حَرْبُ الْأَقَارِبِ وَالسَّلَامُ
 وَبَشْتُمُ عَرْضِي فِي الْمُعَيَّبِ جَاهِدًا وَلَيْسَ لَهُ عِنْدِي هَوَانٌ وَلَا شَتْمٌ
 فَلَوْلَا اتِّقَاءُ اللَّهِ وَالرَّحِمِ النَّبِيِّ رِعَايَتُهَا حَقٌّ وَتَعْطِيلُهَا ظُلْمٌ
 إِذَنْ لَعَلَّوهُ بَارِقِي وَحَطَّمْتُهُ يَوْسُمِ شَنَارٍ لَا يُشَارِكُهُ وَسْمٌ⁷⁰
 وضح لنا في هذه الأبيات تأثره الديني في حلمه وصفحه عن ذوي الرحم الذي يكيد له ،
 ويشتم عرضه ويجسده ولكن الشاعر بعميق إيمانه يرعي صلة الرحم ويخشى الله، ويرفض
 النميمة والغيبة ويصبر على ما يصيبه من أقاربه ولا يعاملهم بمثل ما يعاملونه، ويمنع من
 ذلك تقوى الله وتعاليم الرسالة الإسلامية السمحاء التي تدعو إلى مكارم الأخلاق والأمر
 بالمعروف متأثرًا بقوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
 الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ* وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا
 الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ "71 . فهذه شيمة
 الرجل المؤمن التائب إلى ربه متأثرًا بأيات القرآن الكريم.

نجد أن الحياة الدينية لها تأثير كبير في شعر الأخلاق في عصر النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، حيث أمرت الرسالة الإسلامية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقامت بتسيخ التعاليم الربانية الداعية إلى صلاح الفرد والجماعة في فعل الخير وترك الشر في أسلوب جزل وصياغة رصينة وبلاغة أعجزت العرب. مما كان له الأثر في نفوس الشعراء، فولعوا بالقرآنوعكفوا على دراسته، وفسروا ما غمض منه. فجاء شعرهم له طابع ديني مميز ينادي بمكارم الأخلاق ويحث عليها مقتبساً من القرآنالكريم التعاليم الإسلامية في بناء الفرد وصياغته. وتهديب سلوكه حتى يكون المجتمع صالحاً بصلاح الفرد. تاركاً العادات والأفعال الجاهلية التي تدعو إلي تفكك المجتمع وانهاره. ولذلك كان العامل الديني من أقوى العوامل المؤثرة في شعر الأخلاق في تلك الفترة.

المطلب الثالث: التأثير السياسي في شعر الأخلاق

يعد العرب من ذوي النفوس المرهفة الذين تؤثر فيهم الكلمة الطيبة وتطربهم الموسيقى العذبة. والشعر العربي هو الذي يكشف لنا حياتهم على مر العصور حيث يسجل بطولاتهم ويؤرخ أمجادهم فهو ديوانهم الذي يحفظ جميع أسرارهم. قال أبو هلال العسكري: "لا تُعرفُ انساب العرب وتواريخها وأيامها ووقائعها إلا من جملة أشعارها ، فالشعر ديوان العرب ، وخزانة حكمتها ، ومستنبت آدابها ، ومستودع علومها"⁷².

والشعر في كل أمة خاضع لتطور حياتها في النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية ، وهي التي تؤثر فيه وتحدد مجراه واتجاهاته، وهي التي تفرض عليه ما شاء من التغيرات فينتقل من طور إلى آخر. وتتبدل موضوعاته وصوره وألفاظه. وتثار فيه معاني جديدة لم تكن موجودة، ويقدر التغيرات التي تحدث في حياة كل أمة يكون تأثير التغيير على الشعر والأدب.

والمجتمع العربي تعرض لتحول في حياته عندما انتقل من البداوة الوثنية في عصر الجاهلية إلى الوجدانية، عندما انبثق فجر الإسلام في الجزيرة العربية. فتحول الشعر مع تلك الحياة وأصبح يتناول الأمور من منظور أخلاقي إسلامي. لان الإسلام قام علي بناء الإنسان بأخلاق فاضلة⁷³.

والشعر له تأثير واضح في حسم بعض المشاكل. حيث يبين طريق الخير أو الشر، المحبة أو الكراهية في بعض الأحيان. قال ابن الرومي:

أرى الشِعْرَ يُحْيِي المِجْدَ والبأس والندي وَتَبْقِيهِ أرواح له عَطْرَاتُ
وَمَا المِجْدُ لَوْلَا الشِعْرُ إِلَّا مَعَاهِدٌ وَمَا النَّاسُ إِلَّا أَعْظَمُ نُجْرَاتُ⁷⁴

قال للشاعر بأن الشعر هو الذي يحيي المجد ويشكل حياة الناس، والشعر هو الذي يسجل لنا التاريخ وأمجاد الشعوب فكانت تلك حياة العرب في الجاهلية. وبعد سيطرة الرسول ﷺ وأصحابه علي شبه الجزيرة العربية وتمكين رسالة الإسلام بما بدأ الرسول ﷺ في بناء دولته ووضع الأسس السليمة لسياسته وفق ما سنته الشريعة الإسلامية، وبذلك غيرت كثير من المفاهيم السياسية.

كما بدأت الفتوحات الإسلامية الواحدة تلو الأخرى إلى أن انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وترك الأمر من بعده لصحابته. فازدادت القضايا السياسية داخلياً وخارجياً بعد وفاته ﷺ في أمور الخلافة وانتقالها من بعده إلى الخلفاء الراشدين. فكانت هذه الأحداث السياسية لها تأثير واضح علي شعر الأخلاق في تلك الفترة، جماعة يدافعون عن النبي ﷺ ودينه ويتناولون المعاني الدينية والأخلاق الإسلامية في شعرهم. قالت ليلي الأحميلية:

فلا تكذِّبْ بوعْدِ الله وأرضَ به ولا تَوَكَّلْ على شيءٍ بإشفاقٍ
ولا تقولنَّ لشيءٍ سوف أفعله قد قَدَّرَ اللهُ ما كُلُّ امرئٍ لاقِي⁷⁵

حيث توضح لنا بأن وعد الله حق ويجب علي الإنسان الإيمان العميق بالقضاء والقدر لأن الأمور بيد الله عز وجل.

وبعد وفاة الرسول ﷺ كادت تصير فتنة بين المهاجرين والأنصار في أمر الخلافة. ثم ارتد عدد كبير من المسلمين عن الإسلام وفروضة، وكان الشعر يساير هذا النشاط السياسي ويسجله دالاً علي روحه ومغزاه. قال الحطيمية في الردة يحرض المشركين علي قتال المسلمين:

فإنَّ الذي أَعْطَيْتُمْ أو مَنْعْتُمْ لَكَالْتَمْرِ أو أَخْلَى لِخَلْفَيْ فِئْتِ
فَقُومُوا ولا تُعْطُوا اللِّثَامَ مَقَادَةً وَقُومُوا وإنْ كانَ القِيَامُ على الجَمْرِ
أَطْعَنَا رَسُولَ اللهِ مَا كَانَ بَيْنَنَا فَيَا عِبَادَ اللهِ مَا لِأبي بَكْرٍ
أَيُّورُنَّا بَكْرًا إِذَا ماتَ بَعْدَهُ وَتِلْكَ لَعَمْرُ اللهِ قاصِمَةُ الظَّهْرِ⁷⁶

يعد الخطيئة من الذين ارتدوا بعد وفاة الرسول ﷺ، ورفضوا لأمر الزكاة ودفعها إلى أبي بكر الصديق. لأنهم أطاعوا الرسول ﷺ في حياته بدفع الزكاة، بينما دفعها إلى أبي بكر هو قاصمة الظهر. وهنالك بعض الشعراء كانوا بعض الشعراء كانوا ملتزمين بالإسلام ومؤيدين لخلافة سيدنا أبي بكر الصديق وتناولوا ذلك في شعرهم. قال أبو عبرة القرشي:

شُكْرًا لِمَنْ هُوَ بِالشَّاءِ حَقِيقٌ ذهب اللجَّاجُ وبُوعِ الصديقِ
مَنْ بَعْدَ مَا دَخَصَتْ بِسَعْدٍ نَعْلَهُ ورجا رجاءً دُونَهُ العيوقُ
كُنَّا نَقُولُ لَهَا عَلِيٌّ والرَضَى عمرٌ وأولاهم بتلك عتيق
فَدَعَتْ قريشٌ باسمه فأجابها إِنَّ المَنَوَةَ باسمه الموثوق⁷⁷

يهنكر الشاعر المولى عز وجل ب أن دعا أمة الإسلام إلى الحق وذهاب الباطل بعد أن كادت تقع الفتنة بين المسلمين في من يتولى أمرهم. فكان من قال سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ ومنهم من قال سيدنا عمر ابن الخطاب ﷺ ولكن تمت البيعة إلى أبي بكر الصديق ﷺ.

وكان هنالك تأثير واضح للأحداث السياسية علي الشعر في عصر النبوة والخلافة الراشدة. لأن الحرب التي كانت تدور بين المسلمين من جهة وبين الكفار واليهود من جهة أخرى كان لها تأثيرها الواضح علي الشعراء. حيث سجلوا ذلك في أشعارهم فمنهم من يفتخر بما صنع في الحرب ضد المرتدين. ويوضح التزامهم بالإسلام وأخلاقه السمحاء. قال بشر بن قُطَيْبَةَ¹:

أرُوحٌ وأعدو في كَيْبِيَةِ خَالِدٍ عَلِيٌّ شَطْبَةٌ قَدْ ضَمَّهَا العَزْوُ حَيْقِقِ
إِذَا قَالَ سَيْفُ اللَّهِ كُرُوا عَلَيْهِم كَرَرْنَا وَلَمْ نَجْعَلْ وصَاءَ المَعْوِقِ
أَقُولُ لِنَفْسِي بَعْدَمَا رَانَ بَالُهَا رُوَيْدِكَ... لَمَّا تُشْفِقِي حِينَ تُشْفِقِي
وَكُوْنِي مَعَ الرَّاعِي وَصَاءَ مُحَمَّدٍ وَإِنْ كَذَبْتَ نَفْسُ المَنَافِقِ فَاصْدُقِي⁷⁸

يبين الشاعر بأنه كان أحد أفراد جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد ضد الكفار والمرتدين. ويظهر طاعة لأوامر قيادته إذا أمرهم بالهجوم علي الأعداء ولم ينظر إلى وصاة المعوق. وعندما تلين نفسه وتميل إلى السكون يأمرها وقال لها كوني مع جيش الإسلام بقيادة خالد بن الوليد لنصر الرسالة الإسلامية. ويظهر طاعة الشاعر للحق وصدقه إذا كذبت نفس المنافق من اجل تثبيت دعائم الدعوة الإسلامية ونصر الدين لنشر القيم

الأخلاقية الفاضلة. وهنالك بعض الشعراء تأثروا بهذه الأحداث السياسية وأصبحوا ينادون في شعرهم بتثبيت القيم الأخلاقية التي تسعى لنشر الإخاء والترابط الاجتماعي من اجل الدفاع عن الدعوة وأخلاقياتها. قال في ذلك خزيمة بن ثابت الأنصاري يخاطب قريش:

يا آل قُرَيْشِ أَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِنَا
وَبَيْنَكُمْ قَدْ طَالَ حَبْلُ التَّمَاْحِكِ
فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ بَعْدَنَا فَأَرْفُقُوا بِنَا
وَلَا خَيْرَ فِينَا بَعْدَ فَهْرِ بْنِ مَالِكِ
كِلَانًا عَلَى الْأَعْدَاءِ كَفُّ طَوِيلَةٍ
إِذَا كَانَ يَوْمَ فِيهِ حُبُّ الْحَوَارِكِ
فَلَا تَذْكُرُوا مَا كَانَ مِنَّا وَمِنْكُمْ
فَفِي ذِكْرٍ مَا قَدْ كَانَ مِثْلِي التَّشَارِكِ⁷⁹

ينادي المهاجرين بإصلاح ذات بينهم، وعدم النظر إلى صفات الأمور لأن هدفهم مشترك وأرفع من الاختلاف فيما بينهم.

وفي جميع ما ذكر من أحداث سياسية في حرب الردة له تأثيراً واضح علي شعر الأخلاق في تلك الفترة حيث أنتجت شعر يلتزم بالأخلاق الإسلامية، ومناصرة الدعوة، والدفاع عن الدين. والشعراء يشاركون في الأحداث السياسية بكلمتهم وسيفهم مع المسلمين. كما كانت هنالك حركة الفتوحات الإسلامية لنشر الدين مما أدى إلي وقوع معارك ضارية في مواجهة المشركين والفرس والروم , فكانت لها تأثير واضح على الشعراء بوصف تلك الأحداث وحث المسلمين على البذل والتضحية والجهاد, فأنتجوا شعراً يلتزم بالأخلاق الإسلامية الفاضلة. فهاجموا الكفار وقللوا من شأنهم وكانت كلمتهم لها تأثير واضح في الأحداث السياسية. كما فعل عمر بن سالم الخزاعي أحد بني كعب عندما قدم على الرسول ﷺ يشكو من عدوان قريش وحليفها بني بكر قائلاً:

يا رَبِّ إِنِّي نَاشِدُ مُحَمَّدًا
حَلَفَ أَيْبِنَا وَأَبِيهِ أَلَا تُلَدَا
قَدْ كُنْتُمْ وُلْدًا وَكُنَّا وَالِدًا
ثُمَّتْ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ مَدَدَا
فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا
إِنْ سِيَمِ حَسَنًا وَجْهَهُ تَرْتَدَا
فِي فَيْلِقِ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُرْبِدَا
إِنَّ قَرِيشًا أَخْلَفُوكَ الْمُؤْعَدَا
وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا
وَجَعَلُوا لِي فِي كَدَاءِ رَصَدَا
وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُوا أَحَدَا
وَهُمْ أَذَلُّ وَأَقْلُّ عَدَدَا
هُمْ بَيِّنُونَا بِالْوَتِيرِ هُجَّدَا
وَقَتَّلُونَا رَكْعًا وَسُجَّدَا⁸⁰

يستغيث الشاعر بالرسول ﷺ ويطلب الدفاع عنه، لما بينه من حلف وقال له بأن قريش قد نقضوا الميثاق الذي كان بينكم وبينهم واعتدوا علينا وظنوا بأننا لم نطلب من يدافع عنا. فقال له رسول الله ﷺ: "نصرت يا عمر بن سالم" وكان ذلك من أسباب فتح مكة. والفتوحات الخارجية أثرت بشكل كبير علي الشعراء وأنتج شعر أخلاقي ملتزم بتعاليم الإسلام. كذلك من الأحداث السياسية التي كان لها تأثير علي شعر الأخلاق في حياة المسلمين مقتل سيدنا عثمان بن عفان ﷺ حيث انقسم الناس إلى شيع وطوائف وأحزاب، كل له شعراء يناصرونه مما كان له الأثر الواضح على الشعر. قال حسان بن ثابت:

إِنْ تُمَسِّ دَارُ بَنِي عُثْمَانَ خَاوِيَةً بَابٌ صَرِيْعٌ وَبَابٌ مُخْرَقٌ خَرِبٌ

فَقَدْ يُصَادِفُ بَاغِيَ الْخَيْرِ حَاجَتَهُ فِيهَا وَيَأْوِي إِلَيْهَا الْعُرْفُ وَالْحَسْبُ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ أْبُدُوا ذَاتَ أَنْفُسِكُمْ لَا يَسْتَوِي الصَّدْقُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْكَذِبُ⁸¹

وضح حسان بن ثابت بصياغة رصينة يلتزم فيها بالأخلاق الفاضلة وترجيح الصدق على الكذب، بأن دار سيدنا عثمان بن عفان أصبحت خالية وخرية بعد مقتله، فكانت قبلة للخير ومأوى للجميع.

بينما كانت هنالك جماعات مختلفة تتصارع حول الخلافة ودم سيدنا عثمان ﷺ. وهنالك من لزم الحياد وعدم الدخول في باب الفتنة ومناصرة فئة ضد أخرى وعدم التجارة بدم سيدنا عثمان ﷺ حتى يتبين الحق ويظهر ذلك في قول سعد بن أبي وقاص:

مُعَاوِيَ دَاوُكَ الدَّاءِ الْعِيَاءِ وَليْسَ لِمَا تَجِيءُ بِهِ دَوَاءٌ

أَيَدْعُونِي أَبُو حَسَنِ عَلِيٌّ فَلَمْ أَرُدِّ عَلَيْهِ بِمَا يَشَاءُ

وَقَلْتُ لَهُ أَعْطِنِي سَيْفًا بَصِيرًا تَمِيْزُ بِهِ الْعِدَاوَةَ وَالْوَلَاءُ

فَإِنَّ الشَّرَّ أَصْغَرُهُ كَثِيرٌ وَإِنَّ الظَّهْرَ تَنْقَلَهُ الدَّمَاءُ

أَتَطْمَعُ فِي الَّذِي أَعْطِنِي عَلِيًّا عَلَيَّ مَا قَدْ طَمَعَتْ بِهِ الْعَفَاءُ

فَأَمَّا أَمْرُ عُثْمَانَ فِدَعَهُ فَإِنَّ الرَّأْيَ أَذْهَبَهُ الْبَلَاءُ⁸²

الشاعر يلزم الحياد وعدم الدخول في الفتنة ويطلب من جميع الأطراف عدم الخوض في الفتنة. لأنه لا يجد سيفاً بصيراً يميز بين الحق والباطل، والشر والفتنة يمكن أن تكون من الأمور الصغيرة. بينما هنالك من يناصر فئة معينة مثل النابغة الجعدي الذي يناصر سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ قال في موقعة صفين:

قد عَلِمَ المِصْرَانِ والعِرَاقُ أَنْ عَلِيًّا فَخَلَّهَا العِتَاقُ
أَبِيضٌ جَحْجَاحٌ لَهُ رِوَاؤُ وَأُمُّهُ عَالِي بِهَا الصِّدَاقُ
أَكْرَمُ مِنْ شُدِّ بِهِ نِطَاقُ إِنَّ الْأَلْبِيَّ جَارُوكَ لَا أَفَاقُوا
هَمَّ سِبَاقُ وَلَكُمْ سِبَاقُ قَدْ عَلِمَتْ ذَلِكُمْ الرِّفَاقُ
سُقْتُمْ إِلَى نَهْجِ الهُدَى وَسَاقُوا إِلَى التِّي لَيْسَ لَهَا عِرَاقُ
فِي مِلَّةٍ عَادَتْهَا النِّفَاقُ⁸³

يمدح سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام بالاستقامة والهداية والتقوى وشهد له بذلك أهل الكوفة والبصرة. وهو ومن معه على حق، وأعداؤه على باطل.

إذن تأثر شعر الأخلاق في عصر صدر الإسلام - البعثة النبوية والخلافة الراشدة - بعدة عوامل كانت تشكل الشعر في تلك الفترة. منها التحول في المجتمع من مجتمع جاهلي تحكمه العنصرية القبلية والحروب إلى مجتمع إسلامي يدعو إلى السلام وبناء مجتمع فاضل. كما كانت الأحداث السياسية في تلك الفترة من مشاكل داخلية في انتقال الخلافة وحروب خارجية

لنشر الرسالة الإسلامية، حيث سائر الشعر تلك الأحداث مسجلاً الانتصارات. وداعياً إلى الأهداف الدينية التي جاءت في مجملها لتربية الأمة وبنائها على أخلاق فاضلة.

خاتمة البحث:

في الختام نجد أن شعر عهد النبوة والخلافة الراشدة يذخر بمكارم الأخلاق التي يقوم عليها المجتمع الصالح، ويحكي هذا الشعر في جمال أسلوبه ورسالة صياغته وروعة معانيه عن أهداف وقيم الرسالة الإسلامية السمحة التي جاءت لتتم مكارم الأخلاق. فعندما جاء الإسلام غير كثيراً في المجتمع الجاهلي حيث حول العصبية القبلية إلى رابطة الأمة، وبسط الأمن والسلام والعدل والإخاء وغيرها.

فوقف الإسلام من الشعر موقفاً واضحاً حيث نهي عن الشعر القبيح الذي يتناول أعراض الناس ويشعل الفتنة ويحارب الإسلام، بينما شجع الشعر الذي يدل على مكارم الأخلاق ويدافع عن الإسلام وينصره بالكلمة كما ينصر بالسيف، ليصبح المتقنع يقوم على رابطة الإسلام الذي يدعو إلى تسيخ التعاليم الربانية الداعية إلى صلاح الفرد والجماعة في فعل الخير وترك الشر، في أسلوب جزل وصياغة رصينة وبلاغة أعجزت العرب؛ مما كان له الأثر

في نفوس الشعراء، فولعوا بالقرآنوعكفوا على دراسته. فجاء شعرهم ذا طابع ديني مميز ينادي بمكارم الأخلاق ويحث عليها مقتبساً من القرآنالكريم والسنة المطهرة التعاليم في بناء الفرد وتهذيب سلوكه حتى يكون مجتمع صالح بصلاح الفرد، تاركاً العادات والأفعال الجاهلية التي تدعو إلى تفكك المجتمع وأنهاره. وختاماً هذهلبنة تتساند مع غيرها في سبيل البناء الكلي لترسيخ القيم والأخلاق الفاضلة.

الهوامش

- ¹ - أنظر: أحمد سلمي، التاريخ والحضارة الإسلامية، القاهرة، مطبعة النهضة المصرية، الطبعة الرابعة، 1966م، ص 78_79.
- ² محمد عثمان علي، في أدب ما قبل الإسلام، لبنان، بيروت، دار الأوزاعي، الطبعة الثالثة، 1406هـ-1986م، ص50.
- ³ محمد عثمان علي، في أدب ما قبل الإسلام، مرجع سابق، ص 49، العسف: الأخذ على غير الطريق.
- ⁴ المرجع السابق، ص 51
- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتب، 1399هـ-1939م، الجزء الثالث، ص222.
- ⁵ -
- ⁶ الجوهري (إسماعيل بن حماد)، الصحاح " تاج اللغة وصحاح العربية"، تحقيق أحمد عبد الغفار عطار، القاهرة، الطبعة الثانية 1399هـ - 1977م. الجزء الرابع، ص 1471 .
- ⁷ - ديوان لبيد بن ربيعة العامري، بيروت، دار صادر، 1986هـ - 1966م، ص179 .
- ⁸ - ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله على الكبير، محمد احمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، القاهرة، دار المعارف، الجزء الثاني، ص1245.
- ¹ - عبد اللطيف محمد العبد، الأخلاق في الإسلام، المدينة المنورة، مكتبة دار التراث، بدون تاريخ، ص12.
- ¹⁰ - الجاحظ، تهذيب الأخلاق، دار الصحافة للتراث، الطبعة الأولى، 141هـ - 1989م، ص (4. 5) .
- ¹¹ - صلاح الدين عبد اللطيف الناهي، الخوادم من آراء حجة الإسلام الغزالي، بيروت، دار الجيل، الطبعة الأولى 1407هـ - 1987م، ص 88 وما بعدها .
- ¹² - عبد الرحمن عيسوي، النحو الروحي الخلقى، الهيئة المصرية العامة للكتب، 1980م، ص 286.

- 13 - انظر: الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد) إحياء علوم الدين، ت. سيد بن إبراهيم، القاهرة، دار الحديث 1414 هـ - 1994م، الجزء الثالث، ص 94 .
- 14 - انظر : صلاح الدين عبد اللطيف الناهي، الخوالات من آراء حجة الإسلام الغزالي، مصدر سابق، ص 75.
- 15 زكي نجيب محمود، مع الشعراء، بيروت، دار الشروق، الطبعة الثالثة، 1982م، ص 57.
- 16 سورة الأنبياء، الآية 5
- 17 سورة الصافات، الآية 36
- 18 سورة الطور، الآية 30
- 19 سورة الحاقة، الآية 41
- 20 سورة يس، الآية 69
- 21 سورة الشعراء، الآيات (224 _ 226)
- 22 سورة الشعراء، الآية 227
- 23 ابن رشيق القيرواني (محمد أبو علي)، العمدة في محاسن الشعر وأدبه، حققه محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الجيل، الطبعة الرابعة، 1972م، ص 31.
- 24 المصدر السابق، ص 30.
- 25 المصدر السابق، ص 27.
- 26 ابن رشيق القيرواني (محمد أبو علي)، العمدة في محاسن الشعر وأدبه، حققه محمد محي الدين عبد الحميد، مرجع سابق، ص 30.
- 27 المرجع السابق، ص 9.
- 28 خليل إبراهيم أبو دياب، النابعة الجعدي حياته وشعره، دمشق، دار القلم، بيروت. ودار المنارة، الطبعة الأولى، 1407هـ/1987م، ص 141، نقلاً عن الديوان، ص 51.
- 29 ابن رشيق القيرواني، العمدة، مرجع سابق، ص 53.
- 30 ديوان كعب بن زهير، لابي سعيد الحسن بن الحسين العسكري، بيروت لبنان، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية 1417هـ/ 1996م - ص 40-41.
- 31 محمود مصطفى، الأدب العربي وتاريخه في صدر الإسلام والدولة الأموية، مصر، مطبعة مصطفى البابي وأولاده، الجزء الأول، الطبعة الثانية، 1356هـ/1937م، ص 39.
- 32 المرجع السابق، ص 40.
- 33 شهاب الدين بن أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ج 17، ط 1، 1374هـ/1955م - ص 169.

- 34- محمد عثمان على، في أدب الإسلام، مرجع سابق، ص53.
- 35 ابن رشيقي القيرواني، العمدة، مرجع سابق، ص32.
- 36 المرجع سابق، ص28.
- 37 ديوان الخطيئة، شرح ابن السكت والسكري والسجستاني، تحقيق نعمان أمين طه، مصر، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، ص280.
- 38 ابن رشيقي القيروان، العمدة، مرجع سابق، ص34.
- 39 المرجع السابق، ص28.
- 40 - انظر: عبد الرحمن حسن جنبكه، الأخلاق الإسلامية وأسسها، مرجع سابق، ص29 وما بعدها.
- 41 - خليل إبراهيم أبو دياب، النابغة الجعدي حياته وشعره، مرجع سابق، ص144. نقلاً عن الديوان، ص210.
- 42 - ديوان حسان بن ثابت، تحقيق سيد حنفي حسين، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الأولى، 1973م، ص135-136. كباكب: جمع كبكبه وهي جماعة من الناس. القليب: هو قليب بدر الذي قذفت فيه قتلى المشركين.
- 43 - سورة الأحزاب، الآية (22).
- 44 - سورة الأحزاب، الآية (24).
- 45 - سورة آل عمران، الآية (110).
- 46 - ديوان الخطيئة، شرح ابن السكيت والسكري والسجستاني، تحقيق نعمان أمين طه، مصدر سابق، ص98.
- 47 خليل إبراهيم أبو دياب، النابغة الجعدي حياته وشعره، مرجع سابق، ص162. نقلاً عن الديوان، ص4.
- 48 - خليل إبراهيم أبو دياب، النابغة الجعدي حياته وشعره، مرجع سابق، ص162. نقلاً عن الديوان، ص25.
- 49 - ديوان على بن أبي طالب، جمع وترتيب عبد العزيز الكرم، المكتبة الثقافية، لبنان، بيروت، بدون تاريخ، ص17.
- 50 - خليل إبراهيم أبو دياب، النابغة الجعدي حياته وشعره، مرجع سابق، ص141. نقلاً عن الديوان، ص51.
- 51 - المرجع السابق، ص141 نقلاً عن الديوان، ص69.
- 52 - محمود مصطفى، الأدب العربي في عصري صدر الإسلام والدولة الأموية، الجزء الأول، مرجع سابق- ص109.

- 53 - ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر، مصدر سابق، ص 132.
- 54 - سورة الرحمن، الآيات 26-27.
- 55 - ديوان كعب بن زهير، حققه الحسن بن الحسين السكري، مصدر سابق، ص 168. الشنقى: الخوف.
- 56 - سورة آل عمران، الآية 159.
- 57 - ديوان الخطيئة، شرح ابن السكيت والسكري والسجستاني تحقيق نعمان أمين طه، مصدر سابق، ص 43.
- 58 - صحيح مسلم (للإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري)، شرح النووي، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، 1374هـ/1955م، المجلد الرابع، ص 2059-2060.
- 59 - خليل إبراهيم أبو دياب، النابغة الجعدي حياته وشعره، مرجع سابق، ص 165. نقلاً عن الديوان، ص 96.
- 60 - صحيح مسلم، شرح النووي، الجزء الأول، مصدر سابق، ص 78.
- 61 - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، مصدر سابق، ص 71. خم: غير مرئي ولا مستساغ. يدرع: يلبس كالدرع.
- 62 - سورة الحجرات، الآية 12.
- 63 - ديوان كعب بن مالك الأنصاري، تحقيق سامي مكّي العاني، بغداد، مطبعة المعارف، الطبعة الأولى، 1386هـ/1966م، ص 245. السابعة: الدروع الكاملة الواسعة. تحط: ينجر على الأرض ما فضل منها. النهي: الغدير من الماء.
- 64 - سورة الأعراف، الآية 26.
- 65 - خليل إبراهيم أبو دياب، النابغة الجعدي حياته وشعره، مرجع سابق، ص 151. نقلاً عن الديوان، ص 194.
- 66 - سورة البقرة، الآية 216.
- 67 - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، مصدر سابق، ص 69-70.
- 68 - سورة الإسراء، الآيات (23-24).
- 69 - سورة الأحزاب، الآية 48.
- 70 - محمود مصطفى، الأدب العربي وتاريخه، في عصري صدر الإسلام والدولة الأموية، الجزء الأول، مصدر سابق، ص 111.
- 71 - سورة النحل، الآيات 90-91.
- 72 - يحيى الجبوري، الإسلام والشعر، بغداد، منشورات مكتبة النهضة، 1383هـ/1964م، ص 14.

- 73- انظر: محمد مصطفى هداره، اتجاهات الشعر العربي، في القرن الثاني الهجري، دار المعارف، 1963- ص23.
- 74- ديوان ابن الرومي - شرح مجيد طراد، المجلد الأول، دار الجليل، بيروت- الطبعة الأولى، 1418هـ - 1998م، ص611. الأرواح: الرياح، المعهد: المكان الذي يرجع إليه القوم، نخرات بالية.
- 75- عبد الله الحامد، شعر الدعوة الإسلامية "في عهد النبوة والخلفاء الراشدين"، الرياض، دار الأصاله والثقافة والنشر والإعلام، الطبعة الثانية، 1405هـ/1985م، ص(525-526).
- 76- طه حسين، حديث الأربعاء، مصر، دار المعارف، 1925م، ص125. والديوان ص195-196.
- 77- يوسف بن عبد البر، الاستيعاب في أسماء الأصحاب، مصر، مطبعة السعادة، الجزء الثاني 1328هـ - ص256. ومحمد عثمان علي - في أدب الإسلام، ص53. العيوق: نجم بعيد في السماء، وأراد به أبي بكر الصديق.
- 1- بشر بن قطبة بن سنان بن الحارث. ويقال هو بشر بن الحارث وقطبة اسم أمه وهو شاعر مخضرم شهد معركة اليمامة بقيادة خالد بن الوليد في عهد سيدنا أبو بكر الصديق.
- 2- ابن حجر العسقلاني الإصابة في تميز الصحابة، تحقيق طه محمد الزيني، الجزء الأول، الطبعة الأولى، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة - بدون، ص57. جعل: أخذ. ران بالها: خَبُثَ.
- 3- أحمد الشايب، تاريخ الشعر السياسي "إلى منتصف القرن الثاني"، بيروت، دار القلم، الطبعة الخامسة، 1976م، ص133. نقلاً عن نهج البلاغة، الجزء السادس، ص14.
- 80- يحيى الجبوري، الإسلام والشعر، مرجع سابق، ص61.
- 81- ديوان حسان بن ثابت، تحقيق سيد حنفي حسنين، مصدر سابق، ص212.
- 82- محمد عثمان علي، في أدب الإسلام، مرجع سابق، ص75.
- 83 - خليل إبراهيم أبو دياب، النابغة الجعدي حياته وشعره، مرجع سابق، ص145. نقلاً عن الديوان ص192.